مركزا لصراع عنيف جدا انتقل إلى العلم ، ونشأت عصبية علمية شديدة ، إذ كان لكل بلد مدرسة خاصة فى النحو ، وفى اللغة ، وفى الأدب . وتعصب أهل كل مدينة لعلمائهم ولمذاهبهم . قال أبو عمرو بن العلاء ـ وكان بصريا ـ يتحدث عن أهل الكوفة : لهم حذلقة السَّبَط وصلفهم ، ولنا دهاء فارس وأحلامهم . وصار لكل مدرسة طابع خاص ، ومذهب خاص نسب إليها ، ومنهج فى البحث العلمى ، وفى التأليف ، يتفق مع بيئتها ، وقربها أو بعدها من البادية ، أو حواضر الجزيرة ، أو مقر الخليفة . والذى يعنينا الآن من هذا البحث المذهبان النحويان فى البصرة والكوفة .

المذهب البصرى والكوفى

تقع البصرة فى الجنوب الغربى من العراق قريباً من بادية نجد ومن البحرين ، وعلى ثلاثة فراسخ من غربيها يقع المِرْبد ، فهو ضاحية من ضواحيها ، وكان المربد أول أمره سوقا للإبل ، ثم صار متجرا يأتى إليه الناس من البوادى القريبة والبعيدة ليبيعوا منتجات البادية بخيرات البصرة ؛ وكان الأعراب ينشدون الشعر ، ويتلقفه منهم علماء البصرة ، ويحفظونه . ثم اتسعت حلقات الشعر ، وقصد إليها العلماء ، حتى أصبح المربد سوقا للشعر والأدب ، ومناظرات العلماء ـ أكثر منه سوقا تجارية . وكان النحويون خاصة يخرجون إلى المربد يتلقفون الشعر تلقفا من أفواه الأعراب ، ويبنون عليه قواعدهم فى النحو